سؤال الاستشراق

مقاربة حوارية بين الشرق والغرب

في فكر مالك بن نبي النهضوي

.....

د. رواء محمود حسين

الملخص

تعد إشكالية الاستشراق واحدة من أبرز الإشكاليات والأسئلة التي طرحت أمام الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر. وقد مثل الاستشراق خلال تاريخه بشكل عام وجهة نظر الآخر حول ثقافة الشرق وعاداته وتقاليده وتاريخه وواقعه الحالي. هذه الإشكالية شغلت حيزاً في التفكير والمراجعة والنقد عند واحد من أبرز المفكرين الإسلاميين المعاصرين هو مالك بن نبي. في كتابه: " إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"، يقدم مالك بن نبي خلاصة مركزة، أو بعبارة أخرى، مقاربة حوارية بين الشرق والغرب، منطلقاً من تعريف المستشرقين بأنهم الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الاسلامية. ويرى بن نبي أن المستشرقين القدماء أثروا وربما لا يزالون يؤثرون على مجرى الأفكار في العالم الغربي. ويرى مالك بن نبي أن العالم الإسلامي في أزمة، ويضع الأساس لانتقاد موضوعي للذات في المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة. ويرى أن شبكة العلاقات الضرورية هي نتيجة للظروف والشروط التي تحدث الحركة التاريخية نفسها. نحاول في بحثنا هذا فهم موقف مالك بن نبي من إشكالية العلاقة بين الشرق والغرب، منطلقين من مركز بحثي متمثل في كتاب مالك بن نبي " إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"، باحثين عن علاقته بمشروع بن نبي النهضوي، متمثلاً بكتاب " شروط النهضة"، مع العودة، بالطبع، إلى مجمل إنجازه العلمي المتمثل في باقي مؤلفاته المتعلقة بالمقاربة المذكورة.

الكلمات المفتاحية:

مالك بن نبي، الاستشراق، الغرب، الحوار، النهضة، العالم الإسلامي.

The Orientalism Question: A Dialogue Approach between East and West in the Renaissance Thought of Malik Bin-Nabi

Dr. Rawaa Mahmoud Hussain

Abstract:

The problem of Orientalism is one of the most prominent problems and questions raised before modern and contemporary Islamic thought. Orientalism throughout its history has generally represented the other's views on the culture, customs, traditions, history and current realities of the East. This problem has taken place in the thinking and criticism with one of the most prominent modern Islamic thinkers ‘Malik Bennabi.’ In his book "The Production of Orientalists and its Impact on Modern Islamic Thought," Malik Bennabi presents a concentrated summary, in other words, a dialogue approach between East and West. In this research, I try to understand the impact of Malik Bennabi on the problematic relationship between East and West. According to Malik Bennabi, the ancient orientalists influenced, and may still affect the course of ideas in the Western world. He believes that the Muslim world is in crisis, and lays the foundation for a subjective criticism of the Muslim-majority societies. Malik Bennabi believes that the network of necessary relationships is the result of the conditions and the historical movement itself, which is taking place. I start from a searching point represented in the aforementioned book, looking for its relationship with Malik Bennabi’s project of Islamic renaissance, with a checking of the overall scientific achievements of the rest of his writings on the said approach.

Keywords:

Malik bennabi, Orientalism, West, Dialogue, Renaissance, Islamic World.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إشكالية البحث:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم:

تعد إشكالية العلاقة بين الشرق والغرب من الإشكاليات الكبرى التي واجهت الفكر الإسلامي والغربي على السواء. مفكرون كثر من الجانبين اشتغلوا في مجال البحث عن طبيعة العلاقة الشرقية – الغربية ومقارباتها الحضارية والثقافية والاجتماعية والسياسية. ويعد المفكر مالك بن نبي واحداً من أبرز المشتغلين في هذا المجال، ولا نبالغ إذا قلنا إن العلاقة المذكورة قد شغلت مالك بن نبي في معظم إنتاجه الفكري.

في كتابه: " إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"، يقدم مالك بن نبي خلاصة مركزة، أو بعبارة أخرى، مقاربة حوارية بين الشرق والغرب، منطلقاً من تعريف المستشرقين بأنهم الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الاسلامية.وفِي مقدمة الكتاب المذكور ينطلق بن نبي من مقدمة مركزية بأن هناك في مجال الاستشراقطبقة المادحين للحضارة الاسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها. وهذا يعني أن مالك بن نبي لا يقف موقفاً كلانياً من الاستشراق من ناحية القبول أو الرفض بل إنه ينطلق من (التمييز الإيجابي) بين منهجين في مجال تعامل المنهج الاستشراقي مع الحضارة الإسلامية: المنهج الإيجابي العلمي والموضوعي والمنهج السلبي الانتقادي.

ولذلك، فإن حدود البحث تتعلق بفهم الاستشراق بوصفه مقاربة غربية عند مالك بن نبي، وبوصفه آليه للحوار بين الشرق والغرب، آخذين بنظر الاعتبار مشروع مالك بن نبي النهضوي.

هدف البحث:

يهدف بحثنا هذا فهم موقف مالك بن نبي من إشكالية العلاقة بين الشرق والغرب، منطلقين من مركز بحثي متمثل في كتاب مالك بن نبي " إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"، باحثين عن علاقته بمشروع بن نبي النهضوي، متمثلاً بكتاب " شروط النهضة"، مع العودة، بالطبع، إلى مجمل إنجازه العلمي المتمثل في باقي مؤلفاته المتعلقة بالمقاربة المذكورة.

خطة البحث:

وقد تم توزيع البحث إلى مبحثين، يناقش المبحث الأول، والموسوم ب: "مالك بن نبي وسؤال الاستشراق"، قضايا من قبيل: مصطلح الاستشراق، تأثير الاستشراق، تثمين جهده الاستشراق، وتحليل مالك بن نبي لاكتشاف أوربا للفكر الإسلامي، وأزمة العالم الإسلامي.

أما المبحث الثاني، والموسوم ب: "حوار الشرق والغربفي فكر مالك بن نبي النهضوي والاجتماعي"، فيتضمن تحليلات لمالك بن نبي في النظرية الاجتماعية، عناصر النهضة، الدعوة إلى الإسلام: إمكانات السلام، الثقافة والعالمية: في ثقافة الحوار.

أهمية البحث:

إن أهمية البحث يمكن رصدها في كونه يعالج ظاهر الاستشراق بوصفه ظاهرة نقدية وثقافية غربية في مجال علاقتها بالشرق عموماً وبالفكر الإسلامي والمجتمعات الإسلامية، إذ يتم هذا الرصد بعيون مالك بن نبي وبرؤيته التحليلية والنقدية وما يتضمنه هذا الرصد من بناء جسور للحوار بين الشرق والغرب. ويعتمد البحث مصادر متنوعة وفي مقدمتها مؤلفات مالك بن نبي نفسه مع العودة إلى مصادر الاستشراق أيضاً. ومحاولة تأسيس مشروع للحوار الشرقي – الغربي، والمساهمة في فسح المجال للتفكير بإمكانات جديدة للسلم العالمي.

ومن الله سبحانه وتعالى التوفيق.

المبحث الأول

مالك بن نبي وسؤال الاستشراق

مصطلح الاستشراق

يرى إدورد سعيد أن الاستشراق مبحث أكاديمي، ولا يزال هذا المفهوم مستخدماً في عدد من المؤسسات الأكاديمية، فالمستشرق كل من يعمل بالتدريس والكتابة وإجراء البحوث في موضوعات خاصة بالشرق، سواء كان ذلك في الأنثروبولوجيا، وفي علم الاجتماع، والتاريخ، وفقه اللغة. «(١)»

ويربط إدورد سعيد نقده للخطاب الأوروبي حول الشرق الأوسط بقضايا التمثيل بشكل عام مما يدل على أن الخطاب الغربي حول الشرق الأوسط كان مرتبطاً بالسلطة، وقد تم الاتجار بها في الصور النمطية العنصرية، التي استنسخت نفسها باستمرار. ومن خلال التتبع لجينالوجيا النقد الاستشراقي، يمكننا الآن أن نرى أن نشر إدوارد سعيد لكتابه الاستشراق عام (١٩٧٨) يمثل نقلة نوعية في التفكير في العلاقة بين الغرب وغير الغرب. وقد سعى سعيد في كتابه: "الاستشراق: السلطة، المعرفة، الإنشاء" إلى تفكيك الطرق التي تم بها إزعاج القوى السياسية والأدبية والعلماء في الشرق الأوسط من قبل السلطة السياسية. وبإظهاره أن أفكار ميشيل فوكو يمكن أن تؤثر على تمثيل ثقافات ومجتمعات الشرق الأوسط في الفكر الأوروبي. من خلال تسمية هذا الخطاب "الاستشراق"، قام سعيد بأداء خدمة سياسية وعقلية رئيسية وجعلها متاحة لجميع الذين كانوا يبحثون عن وسيلة فعالة لمعارضة السلطة الفكرية في مختلف مظاهرها... «(٢)»

يحدد مالك بن نبي مصطلح الاستشراق بالقول: "إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية".

ويصنف الاستشراق على طبقات: من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل جربر دورييك والقديس توماس الأكويني وطبقة المحدثين مثل كاره دوفو وجولدزيهر.

ب- من حيث الاتجاه العام للاستشراق في مجال الكتابة والتأليف نحو الإسلام والمسلمين: فهناك طبقة المادحين للحضارة الاسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها.«(٣)

ولا بد من الإشارة أن عدداً متزايداً من مؤرخي الدين المتخصصين في الإسلام حالياً هم الذين يجرون ويحولون بين هذين التقاليد الدراسية – الاستشراق والدراسات الدينية. إنهم يتابعون الدراسات الإسلامية ضمن أطر نظرية جديدة، مثل النظرية النقدية والكوسموبوليتية. وفي الواقع، كانت دراسة الإسلام مستعصية على نحو غير مريح بين الاستشراق ودراسات المنطقة من ناحية والدراسات الدينية من ناحية أخرى. من الأهمية بمكان دراسة الآثار المترتبة على كل من دراسات المنطقة والدراسات الدينية، بما في ذلك الانتقادات الناشئة في هذه المجالات، إذا كان على العلماء التعامل بفعالية مع القضايا المتعلقة بالإسلام في الثقافة العامة العالمية التي يتم تشكيلها اليوم. «(٤)

تأثير الاستشراق:

يبين بن نبي أن المستشرقين القدماء أثروا وربما لا يزالون يؤثرون على مجرى الأفكار في العالم الغربي لكن لم يكن لهم التأثير نفسه على المسلمين، مع العلم أن إنتاج المستشرقين حاول أن يؤثر تأثيراً كبيراً على حركة النهضة في أوروبا، بينما لا نرى لهم أي أثر فيما نسميه النهضة الإسلامية اليوم. مع أن بعضهم أثر في المسلمين مثل الأب لامانس، وعلى فرض انه مس ثقافتنا الى حد ما، إلا أنه لم يحرك ولم يوجه بصورة شاملة مجموعة أفكارنا، لما كان في نفوسنا من استعداد لمواجهة أثره تلقائيا، مواجهة تدخلت فيها عوامل الدفاع الفطرية عن الكيان الثقافي. ولكننا على عكس ذلك نجد للمستشرقين المادحين الأثر الملموس الذي يمكننا تصوره بقدر ما ندرك انه لم يجد في نفوسنا أي استعداد لرد الفعل حيث لم يكن هناك، في بادئ الأمر، مبرر للدفاع الذي فقد جدواه وكأنما أصبح جهازه معطلاً لهذا السبب في نفوسنا.«(٥)

ومن الجدير بالذكر أنه يتم إعادة إنتاج البحوث حول الاستشراق والمستشرقينمن قبل المثقفين العرب عن طريق استخراج المادة العلمية من علم الاجتماع. إن تطبيق "العلوم الإنسانية"في مجال فهم الفكر الاسلامي يثير عدداً من الأسئلة من ناحية المعرفة اللغوية، والأنثروبولوجية والتاريخية في الغرب وفي العالم العربي. وقد قدم الاستشراق بين عامي م١٩٥٠و١٩٨٠ محاولات عميقةلفحص الأساليب والأهداف، وتوفير تحليلاتمستخرجة العلوم الإنسانية، وقد هيمن على تلك الدراساتفقه اللغة والدراسات اللغوية، وبين عامي ١٩٦٠مو١٩٧٠م، طرح موضوع الابسمتية للعلوم الاجتماعية، وتم فسح المجال لخطاب فيه خروج واضح على مقولات الاستشراق التقليدي. ((٦))

تثمين جهد الاستشراق:

إن الجيل المسلم الذي ينتسب إليه بن نبي يدين الى هؤلاء المستشرقين الغربيين بالوسيلة التي كانت بين يديه لمواجهة مركب النقص الذي اعترى الضمير الإسلامي أمام ظاهرة الحضارة الغربية. إن المستشرقين المادحين مثل رينو الذي ترجم جغرافية أبي الفداء في أواسط القرن الماضي ومثل دوزي الذي بعث قلمه قرون الأنوار العربية في إسبانيا ومثل سيديو الذي جاهد جهاد الأبطال طول حياته من أجل أن يحقق للفلكي والمهندس العربي أبي الوفاء لقب المكتشف لما يسمى في علم الهيأة ((القاعدة الثانية لحركة القمر)) ومثل آسينبلاثيوس الذي كشف عن المصادر العربية لكوميدية الإلهية، لا شك أن هؤلاء العلماء كتبوا لنصرة الحقيقة العلمية، وللتاريخ، وكل ذلك من أجل مجتمعهم الغربي.((٧))

وهذا يعني أن مالك بن نبي لا ينظر إلى الاستشراق من وجهة نظر ناقدة فقط، وإنما ينظر إليه أيضاً من جهة الجوانب الايجابية التي قد يتضمنها الجهد الفكري للمستشرقين.

اكتشاف أوربا للفكر الإسلامي:

وفي المرحلة العصرية والاستعمارية اكتشفت أوربا الفكر الاسلامي لا من أجل تعديل ثقافي بل من أجل تعديل سياسي، لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية، ولتسيير هذه

الأوضاع طبق ما تقتضيه هذه السياسات في البلاد الإسلامية لتسيطر على الشعوب الخاضعة فيها لسلطانها وربما انطبقت هذه المجهودات العلمية، في نفس أصحابها، على مجرد الاعتراف بفضل تلك الشعوب وبمساهمتها في تكوين الرصيد الحضاري الإنساني، ولا شك أن المستشرق سيديو والعلامة غوستاف لوبون يتسمان في انتاجهما بميزة العلم الخالص والاجتهاد المخلص للحقيقة العلمية.إن أوروبا اكتشفت الفكر الإسلامي في مرحلتين من تاريخها فكانت في مرحلة القرون الوسطى، قبل وبعد توماس الأكويني، تريد اكتشاف هذا الفكروترجمته من أجل اثراء ثقافتها بالطريقة التي أتاحت لها فعلا تلك الخطوات الموفقة التي قدمتهاإلى حركة النهضة منذ أواخر القرن الخامس عشر.(٨)

أزمة العالم الإسلامي:

وضع مالك بن نبي (١٩٠٥-١٩٧٣)، وهو عالم مسلم من الجنسية الجزائرية، الأساس لانتقاد موضوعيللذاتفي الإسلام وللمجتمعات ذات الأغلبية المسلمة. ولا يتردد المفكر الجزائري في اللجوء إلى الحجج الثقافية، محاولاً عدم البقاء مع ردود الفعل الاعتذارية. ومع ذلك فقد أسيء فهمه وظلت أفكاره غير معروفة للعامة، وتم تشويها ولم تعط حقها. إنه يحاول الخروج من حالة السبات العميق، وبالتالي العثور، في وقت لاحق، بشكل فردي وجماعي، على سبل الرفاه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي. هذا الكائن الأفضل الذي يبحث عنه بن نبي سيكون مدعوماً بأخلاق عالمية مستلهماً مصدره وتعبيره من تعاليم الإسلام والعلوم الإنسانية. ومع ذلك، فإن هذا الفكر لا يخلو من أسئلة مشروعة من وجهة نظر العلوم الإنسانية والاجتماعية وكذلك من الناحية السياسية. (٩)

لقد أحدثت الصدمة الثقافية، وفقاً لمالك بن نبي، عند عدد من المثقفين المسلمين، شبه شلل في جهاز حصانتهم الثقافية، حتى أدى بهم مركب النقص الى أن ولوا مدبرين أمام الزحف الثقافي الغربي، وألقوا أسلحتهم في الميدان، كأنهم فلول جيش منهزم في اللحظة التي بدأ فيها الصراع الفكري يحتدم بين المجتمع الإسلامي والغرب، فأصبح هذا القبيل من المثقفين يبحث عن نجاته في التزي بالزي الغربي، وينتحل في أذواقه وسلوكه كل ما يتسم بالطابع الغربي حتى ولو كان هذا الطابع ليس إلاّ مظهراً لا شيء وراءه من القيم الحضارية الغربية

الحقيقية. إن العالم الإسلامي أصبح في هذه الملابسات يعاني الصدمة التي أصابته بها الثقافة الغربية، ويعاني بسببها على وجه الخصوص أثرين: مواجهة مركب نقص محسوس من ناحية، ومحاولة التغلب عليه من ناحية أخرى حتى بالوسائل التافهة.«١٠»

وهكذا أصبح الفكر الإسلامي على إثر الصدمة الثقافية التي اجتاحته وما تسبب عنها. ينحاز الى معسكرين: أحدهما يدعو لتمثل الفنون والعلوم والأشياء الغربية- حتى اللباس- والآخر يحاول التغلب على مركب النقص بتناول حقنة اعتزاز يعلل بها النفس. بدأت تظهر في الأفق الثقافي الإسلامي الفكرة الجديدة التي حركت، بعد حرب السباي (١٨٥٨) بالهند، تأسيس جامعة عليكرة«١١»، وحركت، من جانب آخر وضد هذا المشروع، باعث النهضة الإسلامية السيد جمال الدين الأفغاني.فالتيار الأول له أثره في لونين، اللون الذي يتمثل في تأسيس جامعة عليكرة، واللون الذي يتمثل في دعوة جمال الدين الافغاني مع تباين الأهداف وتشابه الوسائل التي كانت تفرض على العالم الإسلامي في كلتا الحالتين تطوراً يؤدي به الى ((الشيئية)) و ((التكديس)).وأما التيار الثانيفإنه يتمثل منحدره الطبيعي في أدب الفخر والتمجيد الذي نشأ منذ القرن التاسع عشر على أثر ما نشره علماء مستشرقون، أمثالدوزي، عن الحضارة الاسلامية.«١٢»

ومن هنا نفهم أن مالك بن نبي كان يدعو إلى الاستقلال الفكري من أجل الوصول إلى الاستقلال السياسي والاقتصادي.

لذلك يرى الدكتور محمد البهي أن المقصود بـ"الإصلاح الديني" في مجال الإسلام يعني محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية، ورفع ما أثير حولها من شبه وشكوك قصد التخفيف من وزنها في نفوس المسلمين، ويعني أيضاً محاولة السير بالمبادئ الإسلامية. من نقطة الركود التي وقفت عندها في حياة المسلمين، إلى حياة المسلم المعاصر، حتى لا يقف مسلم اليوم موقف المتردد بين أمسه وحاضره؛ عندما يصبح في غده.والإصلاح الديني في مجال الإسلام بهذا المعنى ... ذو صلة وثيقة بالعصر الذي يتم فيه، وبالفكر الذي يقوم بمحاولته، وبظروف الحياة التي عاش فيها هذا الفكر.والإصلاح الديني بالمعنى السابق -كمحاولة فكرية، وفي صلاته هذه- يغاير الحركات الدينية الأخرى التي تعتمد على "تبسيط" تعاليم الإسلام وتقريبها من العقلية العامة. «١٣»

مع ذلك، فمالك بن نبي ينبه إلى الجوانب السلبية التي يشملها الإنتاج الاستشراقي والتي حولت تأملاتنا عن واقعنا الحالي فصيرتنا حماة الضي، فيقول: "وبالتالي يتبين لنا أن الانتاج الاستشراقي، بكلا نوعيه، كان شراً على المجتمع الاسلامي، لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان سواء في صورة المديح والاطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر وأغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، أو في صورة التفنيد والاقلال من شأننا بحيث صيرتنا حماة الضيم عن مجتمع منهار، مجتمع ما بعد الموحدين، بينما كان من واجبنا أن نقف منه عن بصيرة طبعاً ولكن دون هوادة، لا نراعي في كل ذلك سوى مراعاة الحقيقة الاسلامية غير المستسلمة لأي ظرف في التاريخ، دون أن نسلم لغيرنا حق الإصداع بها والدفاع عنها لحاجة في نفس يعقوب".«١٤»

المبحث الثاني

حوار الشرق والغرب

في فكر مالك بن نبي النهضوي والاجتماعي

في النظرية الاجتماعية:

يحدد بن نبي مفهوم مصطلح (مجتمع) بأنه يعني: " تجمع أفراد ذوي عادات متحدة، يعيشون في ظل قوانين واحدة، ولهم فيما بينهم مصالح مشتركة". وتحتمل فكرة (الحركة التاريخية) تفسيرات عدة، فمؤرخ كتوينبي يقدم في تفسيرها تأثير الوسط الطبيعي، وعالم الاجتماع يستطيع إذا هو اعتمد على تعاليم المدرسة الماركسية أن يغلب تأثير العامل الاقتصادي.ولكنا نجد في التحليل الأخير أن آلية الحركة التاريخية إنما ترجع في حقيقتها إلى مجموع من العوامل النفسية الذي يعد ناتجاً عن بعض القوى الروحية، وهذه القوى الروحية هي التي تجعل من النفس المحرك الجوهري للتاريخ الإنساني، وعلى ما ذهب إليه علم الاجتماع: (النشاط المشترك) المستمر الذي تقوم به الكائنات والأفكار والأشياء، مطبوعاً على صفحة الزمان.((١٥))

إن شبكة العلاقات الضرورية لأداء العمل الاجتماعي المشترك ليست نتيجة أولية تستحدثها العوالم التي يتكون منها مجتمع معين، بل هي نتيجة لظروف والشروط التي تحدث الحركة التاريخية نفسها.والمعلوم أن أول عمل يؤديه مجتمع معين في طريق تغيير نفسه مشروط باكتمال هذه الشبكة من العلاقات. وعلى هذا نستطيع أن نقرر أن شبكة العلاقات هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده. ومن أجل ذلك كان أول عمل قام به المجتمع الإسلامي هو الميثاق الذي يربط بين الأنصار والمهاجرين. وكانت الهجرة نقطة البداية في التاريخ الإسلامي، لا لأنها تتفق مع عمل شخصي قام به النبي – صلى الله عليه وسلم –، ولكن لأنها تتفق مع أول عمل

قام به المجتمع الإسلامي، أي مع تكوين شبكة علاقاته الاجتماعية، حتى قبل أن تتكون تكوناً واضحاً عوالمه الاجتماعية الثلاثة.[١٦]

ويصوغ مالك بن نبي المعادلة الاجتماعية بالطريقة الاتية:

" (فالشخص) في ذاته ليس مجرد فرد يكون النوع، وإنما هو الكائن المعقد الذي ينتج حضارة. وهذا الكائن هو في ذاته نتاج الحضارة، إذ هو يدين لها بكل ما يملك من أفكار وأشياء.وبعبارة أخرى كل من العوالم الاجتماعية الثلاثة يتفق مع الصيغة التحليلية التالية:ناتج حضارة = إنسان + تراب + وقت. هذه العلاقة العضوية التاريخية الأساسية تتجلى في كل عنصر من عناصر المجتمع الثلاثة لتؤكد وحدة تأثيره منفرداً، كما تتجلى في علاقاته بالعنصرين الآخرين لتؤكد وحدة تأثيرها مجتمعة. وهي تتجلى خاصة في الإطار الشخصي للفرد، حين تقدم له بصورة ما جوهر نظام علاقاته الاجتماعية؛ وخلاصة القول إن أصل شبكة العلاقات الاجتماعية- الذي يتيح لمجتمع معين أن يؤدي عمله المشترك في التاريخ- إنما يكمن في تَخلُّقِ تركيبه العضوي التاريخي. وعلى هذا فإن تاريخ هذا التركيب هو الذي يفسر أصله، كما يحدد في الوقت نفسه طبيعة العلاقات الاجتماعية لحظة نشوئها". [١٧]

عناصر النهضة:

يتمحور كتاب "شروط النهضة" حول نقد المجتمع العربي الجزائري وصفوته الدينية الإسلامية، التي مالت إلى الاستعمار، واندمجت في النظام السياسي الذي صممته وهندسته فرنسا، واضعاً في مقالات موجزة ملاحظاته الناقدة لتداعيات ذلك الاندماج على الجزائر، وكيف أثر هذا الاندماج بالسلب على الشعب الجزائري المسلم. وقد كان المفكر الجزائري مالك بن نبي ممن أطلقوا سهام نقدهم على مشروع التحديث وتمثلاته في الوعي والاجتماع العربي والإسلامي، وكتب بن نبي عدة كتب تحمل مشروعه، مثل (الظاهرة القرآنية)، و(لبيك)، و(وجهة العالم الإسلامي)، و(الفكرة الإفريقية الأسيوية)، وكتابه موضوع الدراسة: "شروط النهضة" إصدار ندوة مالك بن نبي وترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين الصادر في ١٩٧٩ م عن دار الفكر بدمشق.[١٨]

وقد استبدل ابن نبيّ فكرة البناء والتركيب بفكرة التكديس، واعتبر أنّ التحاق العالم الإسلامي بركب الحضارة الحديثة دونه مهمّة لا بدّ أن يقوم بها المسلمون تتمثّل في تركيب الحضارة وبنائها، وهي مهمّة لا يمكن تحقيقها، إلاّ إذا عرف المسلمون – على غرار ما يقوم به الكيمياويّ في مخبره – مكوّنات التركيبة الحضاريّة، وحلّلوها مكوّنًا مكوّنًا. من هذا المنظور رأى ابن نبيّ الحضارة نتاج تركيبة ثلاثيّة المكوّنات: إنسان + تراب + وقت. ولقد مثّلت قضيّة الحضارة نشأة وتكوّنًا وتطوّرًا وأفولاً المسألة الأمّ التي يدور عليها كتاب "شروط النهضة" لمالك بن نبيّ؛ فقد كان هاجس هذا المفكّر الجزائريّ البحث عن الكيفيّة التي تتشكّل بها الحضارات والتقاط العوامل المسهمة في انبعاثها وانبنائها، وهو سؤال يعترف ابن نبيّ بأن الكثير من المفكّرين العرب المنشغلين بقضيّة النهضة قد سبقوه إلى إثارته، وقدّموا بشأنه حلولاً لم تكن على كثرتها ناجعة، ولم تفض في تقدير ابن نبيّ إلى بناء نهضة عربيّة حقيقيّة. وعلّة ذلك، ترجع إلى أنّ هؤلاء لم يتّجهوا رأسًا إلى معالجة المرض الذي تعاني منه البلاد العربيّة، واكتفوا في المقابل بعلاج أعراض ذلك المرض. فضلاً عن ضيق الزاوية التي نظر منها كلّ واحد من هؤلاء المصلحين إلى ذلك المريض المتمثّل في البلاد العربيّة. فبقيت المشكلة قائمة والنهضة مشروعًا لم يتحقّق. «(١٩)»

العنصر الأول: الإنسان: إن المشاكل التي تحيط بالإنسان تختلف باختلاف بيئته، فالإنسانية لا تعاني مشكلة واحدة، بل مشاكل متنوعة، تبعا لتنوع مراحل التاريخ. ولذلك لابد من التوجيه، ويعني تجنب الاسراف في الجهد وفي الوقت. فهناك ملايين السواعد العاملة، والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية، صالحة لأن تستخدم في كل وقت، والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل، المكون من ملايين السواعد والعقول، في أحسن ظروفه الزمنية، والانتاجية، المناسبة لكل عضو من أعضائه. وهذا الجهاز حين يتحرك، يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود، وفي هذا تكمن أساساً فكرة توجيه الإنسان، الذي تحركه دفعة دينية، وبلغة الاجتماع: الذي يكتسب من فكرته الدينية معنى (الجماعة) ومعنى (الكفاح).«(٢٠)»

العنصر الثاني: التراب: ونحن حينما نتكلم عن التراب، لا نبحث في خصائصه وطبيعته، فليس هذا البحث من موضوع الكتاب، ولكننا نتكلم عنه من حيث قيمته الاجتماعية، وهذه القيمة الاجتماعية، للتراب مستمدة من قيمة مالكيه، فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة، وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة، وحيث تكون الأمة

متخلفة- كما نقول اليوم- يكون التراب على قدرها من الانحطاط.التراب أحد العناصر الثلاثة التي تكون الحضارة، فإذا ما توفر " المركب الديني " لتركيب هذه العناصرفإننا نرى التراب في بلاد الإسلام جديراً ببحثه هنا كعامل من عوامل الحضارة.«[٢١]»

العنصر الثالث: الوقت: الزمن نهر قديم يعبر العالم منذ الأزل!فهو يمر خلال المدن، يغذي نشاطها بطاقته الأبدية، أو يذلل نومها بأنشودة الساعات التي تذهب هباء، وهو يتدفق على السواء في أرض كل شعب، ومجال كل فرد، بفيض من الساعات اليومية التي لا تغيض، ولكنه في مجال ما يصير ((ثروة))، وفي مجال آخر يتحول عدماً. فهو يمرق خلال الحياة، ويصب في التاريخ تلك القيم التي منحها له ما أنجز فيه من أعمال.وحينما لا يكون الوقت من أجل الإثراء أو تحصيل النعم الفانية أعني حينما يكون لازما للمحافظة على البقاء، أو لتحقيق الخلود، والانتصار على الأخطار، يسمع الناس فجأة صوت الساعات الهاربة، ويدركون قيمتها التي لا تعوض، ففي هذه الساعات، لا تهم الناس الثروة، أو السعادة، أو الألم. ولكنه نهر صامت، حتى إننا ننساه أحيانا، وتنسى الحضارات، في ساعات الغفلة أو نشوة الحظ قيمته التي لا تعوض.ومع ذلك ففي ساعات الخطر في التاريخ، تمتزج قيمة الزمن بغريزة المحافظة على البقاء، إذا استيقظت، ففي هذه الساعات التي تحدث فيها انتفاضات الشعوب، لا يقوم الوقت بالمال، كما ينتفي عنه معنى العدم؛ إنه يصبح جوهر الحياة الذي لا يُقدَّر.«[٢٢]»

الدعوة إلى الإسلام: إمكانات السلام

يبين مالك بن نبي أنه في قائمة القيم الروحية الحالية حيث لا مجال لترقب وحي جديد بعد ختام الوحي بالإسلام، يبدو الإسلام وحده هو المؤهل لمستقبل رسالة تفي بشروط البقاء على هذا الكوكب لسائر الأجيال المستقبلية، لكن إمكانية كهذه لا تحمل أي تأكيد.وهنا لا يجب أن نتهم القيمة العينية الأصلية للإسلام، بل نتهم الرجال حين لم يدركوا ضوابط الشروط التي حققت هذا الانتشار السريع. يؤكد مالك بن نبي أنه مع تزايد معدلات العنف تزداد الحاجة إلى روح جامعة، روح لها دورها الفاعل في حل المشكلات في سلم عالمي، حيث الحضارة في هذه المرحلة لا تختصر في قارة أو جنس، بل تشمل الإنسان على اختلاف الألوان والأنفس كما هو التعبير القرآني.فالعالم الإسلامي هذه المرة يمكن أن يفشل إذا لم يلتزم المعايير والمعطيات الداخلية والخارجية

للمشكلة.فمن أجل القيام بهذه المهمة فإن العالم الإسلامي ملزم أن يتعامل ويناقش قائمة جردة التركة التي ورثها العصر الجديد، إذ ثمة معطيات محددة لا بد للثقافة الإسلامية في مهمتها الجديدة أن تستوعبها لتأخذ بعداً عالمياً"[٢٣].

يوضح جون اسبوزيتو أن التزام المسلم بتحقيق إرادة الله في التاريخ هو التزام ديني، الله هو حاكم ذو سيادة، ويجب على الإنسان، بصفته خليفته، أن ينفذ حكمه على الأرض. وبما أن الله واحد (التوحيد)، فإن كل خليقتهلديها وحدة كامنة وتخضع لحكمه.لذلك ، الدين ليس منفصلاً بل هو جزء لا يتجزأ من كل جوانب الحياة: الصلاة والصوم والسياسة والقانون والمجتمع. لا ينعكس هذا الاعتقاد ليس فقط في عقيدة التوحيد بل أيضًا بشكل ملموس في تطور الدولة الإسلامية والقانون الإسلامي (الشريعة الإسلامية). وجماعي في المجتمع الإسلامي (الأمة)، حيث حل التضامن الديني محل العلاقات القبلية. الأمة بمثابة الآلية الديناميكية لتحقيق التفويض الإلهي في المجتمع، كمثال لأشخاص آخرين في العالم، وهكذا، فإن الإسلام دين عالمي له مهمة عالمية. ومع ذلك، فالإسلام يتميز عن المسيحية من خلال وحدة وشمولية النظرة الإسلامية للواقع."[٢٤]

يقول مالك بن نبي: "إن الأخلاق اللادينية- بقدر ما لهذا التعبير من معنى- تقيم أعمال الإنسان على أساس المنافع الشخصية العاجلة، التي صارت أساس المجتمع المدني؛ على أن الأخلاق الدينية (التوحيدية) تحترم أيضا المنفعة الشخصية، ولكنها تمتاز برعاية منافع الآخرين، وهي بذلك تدفع الفرد إلى أن ينشد دائما ثواب الله قبل أن يهدف إلى فائدته". "[٢٥]

وينبغي ألا يفوت الداعية في جانب آخر لغة العادات والتقاليد للبلاد الأجنبية التي ترتكز عليها مهمته، فعليه أن يألفها وتألفه في النتيجة، لأن على الخطة الخارجية أن تراعي عالم المفهوم الديني والغربيوالاجتماعي.فهو مفهوم متنوع بقدر كبير، ومراعاته تدخل في الخبرة الفنية. إن مبنى أداء الدعاة المسلمين في التعريف بالإسلام كمفهوم غيبي موحى به هو عقدي في بنية الإيمان، وأخلاقي في معايير السلوك، واجتماعي في شبكة التواصل في المحيط كحق وطني ثم عالمي في مداه الإنساني، لذا لا بد للداعي أن يكون على علم بالأديان الأخرى بالقياس نفسه.هذا التنوع يستدعي تنوع الطرائق في مقاربة المهمة، فليس هنالك طريقة واحدة، إذ لكل طريقة مجالها ووسطها الخاص بها. بكل حال فإذا أردنا تعدادا في هذا المجال فثمة طرائق ثلاث للدعوة."[٢٦]

الثقافة والعالمية: في ثقافة الحوار

والثقافة إنما تتجه إلى الإمبراطورية أو إلى الحضارة بما تتضمنه من الكفاءات الفنية والمبادئ الأخلاقية، ونسبة هذا المضمون- التي تقرر مصير الثقافة- يحددها المزاج، وغالباً الظروف التاريخية، وهو ما يمكن خاصة أن يتحقق في الثقافة الإفريقية، هذه الثقافة التي سوف تقوم حينئذ بدور مهم في حل الأزمة العالمية، وذلك بما تأتي به من الإصلاحات لبعض المفاهيم الأساسية، فليس بخافٍ أن إفريقية لا تملك رصيداً من القنابل الذرية عليها أن تصفيه خدمة للسلام، ولكن في العالم أكداساً من الكراهية والحقد لابد من تصفيتها، ففي نفسية غالب الشعوب بذور فكرية مميتة.إن روح القرن التاسع عشر التي ادّعت تحقيق سعادة الإنسان بواسطة الآلة قد انتهت إلى إفلاس محزن، فلم يعد العالم ينتظر الخلاص على يد العلم، ولكن في أن يُبْعَث الضمير الإنساني من جديد، والعبقرية الإفريقية لا تستطيع أن تنقذه باكتشاف طريقة جديدة في صناعة الكاوتشوك، أو وسيلة مستحدثة في تحليل الذرة، ومن ثم فإن ما ينبغي أن تقدمه لخدمة السلام هو الضمير.. وليس العلم.[٢٧]

وفي سياق حديثه عن مشكلة الثقافة، يتناول ابن نبي الحوار الحضاري، فيبين أن الواجب أن نتجنب الطرق الطويلة، طرق الاعتباط والاستهواء، الطرق التي سلكتها الحضارات التي كان أمامها ما يكفيها من القرون ومن آلاف السنين؛ وبلغة التربية: يجب أن نطبق الطرق التي توجه الذكاء في اتجاه الحضارة، والتي تجعل تكوينها طبقاً للتطورات الضرورية في نطاق هذه الحضارة، فإذا ما صيغت المشكلة في تعبيرات هذه اللغة وجدناها تتجاوز بذلك النطاق القومي، لتقوم على أساس وضع (سياسة للثقافة)، تبعاً لتعبير الجمعية العامة الخامسة لمؤتمر الثقافة الأوروبية الذي انعقد في بروكسل في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٥، أي أن المشكلة تتطلب في هذا الاتجاه (مؤتمراً للثقافة الأفرسيوية)، وربما عبّر البيان النهائي لمؤتمر باندونج عن هذه الضرورة تحت عنوان (التعاون الثقافي).[٢٨]

ليست الإنسانية مهددة من الغيوم المشبعة بالإشعاع الذي تعلقه فوق رؤوسنا التجارب الذرية فحسب، ولكنها أيضاً مختنقة في جو مشحون بهذه الجراثيم الميتة التي ورثتها عن العهد الاستعماري، والنخبة الإفريقية سوف تستطيع خدمة السلام في فكر الإنسان مباشرة، بما تغير من موقفه الفكري والأخلاق إزاء المشاكل القائمة اليوم.إن

العالم مثقل بالعلم وبثقافة الإمبراطورية، إنه يضج بروح الحرب وبوسائل الحرب، ولكن هناك فراغًا كبيراً من الضمير ينبغي له أن يمتلئ، وعلى الثقافة الإفريقية أن تتحدد طبقاً لهذا.«[٢٩]»

الخاتمة

توصل البحث إلى النتائج الاتية:

١- يحدد مالك بن نبي مصطلح الاستشراق بالقول: "إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية". ويصنف الاستشراق على طبقات: من حيث التاريخ: طبقة القدماء مثل جربر دورييك والقديس توماس الأكويني وطبقة المحدثين مثل كاره دوفو وجولدزيهر. من حيث الاتجاه العام للاستشراق في مجال الكتابة والتأليف نحو الإسلام والمسلمين: فهناك طبقة المادحين للحضارة الاسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها.

٢- يبين بن نبي أن المستشرقين القدماء أثروا وربما لا يزالون يؤثرون على مجرى الأفكار في العالم الغربي لكن لم يكن لهم التأثير نفسه على المسلمين. ويثمن جهودالمستشرقين الغربيين بالوسيلة التي كانت بين يديه لمواجهة مركب النقص الذي اعترى الضمير الإسلامي أمام ظاهرة الحضارة الغربية.

٣- يرى مالك بن نبي أن العالم الإسلامي في أزمة، ويضع الأساس لانتقاد موضوعي للذات في الإسلام وللمجتمعات ذات الأغلبية المسلمة.

٤- في فهمه للنظرية الاجتماعية، يرى مالك بن نبي شبكة العلاقات الضرورية لأداء العمل الاجتماعي المشترك ليست نتيجة أولية تستحدثها العوالم التي يتكون منها مجتمع معين، بل هي نتيجة لظروف والشروط التي تحدث الحركة التاريخية نفسها.

٥- الفكرة الأساسية في كتاب "شروط النهضة" تصب في نقد المجتمع العربي الجزائري وصفوته الدينية الإسلامية، التي مالت إلى الاستعمار.

٦- يؤكد مالك بن نبي أن الإسلام وحده هو المؤهل لمستقبل رسالة تفي بشروط البقاء على هذا الكوكب لسائر الأجيال المستقبلية، وذلك من خلال بحث الانسان المسلم عن الثواب قبل المنفعة الشخصية.

٧- يعد مالك بن نبي أن الحوار الحضاري هو الأساس في مجال العلاقات الدولية وهو طريق السلام السهل الذي لابد منه.

توصيات

١- يوجه البحث إلى ضرورة تسليط مزيد من الضوء على مشروع النهضة عند مالك بن نبي، عن طريق عقد مزيد من اللقاءات والحوارات والجلسات النقاشية حول هذه الفكرة المحورية في مشروع مالك بن نبي الحضاري.

٢- يعد سؤال الاستشراق محور الاتصال بين الشرق والغرب في فكر مالك بن نبي، النهضوي، ولذلك يوصي البحث بضرورة إصدار طبعة جديدة ومنقحة من كتاب بن نبي الموسوم: " إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث".

الهوامش

(١) إدورد سعيد: "الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق"، ترجمة د. محمد عناني، ط١، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٤٤.

لمزيد من المتابعة عن الاستشراق، ينظر:

Edward W. Said, Orientalism (New York: Penguin Group, 1978); Joseph A. Boone, The Homoerotics of Orientalism (New York; Columbia University Press, 2014). Richard C. Martin, Carl W. Ernst, Rethinking Islamic Studies: From Orientalism to Cosmopolitanism (Columbia, SC: University of South Carolina Press, 2010); Alexander Lyon Macfie, Orientalism (London and New York: Routledge, 2014); John MacDonald MacKenzie, Orientalism: History, Theory and the Arts (Manchester: Manchester University Press, 1995); Ian Richard Netton, editor, Orientalism Revisited: Art, Land and Voyage (New York: Routledge, 2013).

(2)Edmund Burke III and David Prochaska, editors, *Genealogies of Orientalism: History, Theory, Politics* (Lincoln, NE.: University of Nebraska Press, 2008), p. 1.

(٣) مالك بن نبي: "إنتاجُ المستشرقينْ وأثَره في الفِكر الإسلاميّ الحَدِيث"، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م، ص ٥ – ٦.

(4) Richard C. Martin, Carl W. Ernst editors, *Rethinking Islamic Studies: From Orientalism to Cosmopolitanism*, p. 2.

(٥) مالك بن نبي: "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"، ص ٦ – ٧.

(6) Thomas Brisson, « Les intellectuels arabes et l'orientalisme parisien (1955-1980) comment penser la transformation des savoirs en sciences humaines? », *Revue française de sociologie* 2008/2 (Vol. 49), p. 269-299. DOI 10.3917/rfs.492.0269

(٧) مالك بن نبي: "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"، ص ٧ – ٨.

(٨) مالك بن نبي: "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"، ص ٨ – ١٠.

(9) Haoues Seniguer, « La civilisation islamique et l'humanisme arabo-musulman : le regard de Malek Bennabi », *Confluences Méditerranée* 2014/2 (N° 89), p. 188-189. DOI 10.3917/come.089.0187

(١٠) مالك بن نبي: "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"، ص ١٠. ويضيف الدكتور فيصل لكحل أن من يريد أن يقدم عملاً عن "مالك بن نبي" يجد نفسه أمام عقبات وإشكالات تطرح نفسها باستمرار وربما أهمها: وهل لفكر مالك بن نبي راهنية تاريخية معينة يمكنها أن تجد حلولاً حضارية من جنس تلك التي عالج بها مالك بن نبي مشكلات زمانه الحضاري؟ ولماذا الحديث عن مالك بن نبي وعن مشروعه الحضاري ونحن نعيش ما يفصلنا عن زمن مالك بن نبي أكثر من ربع قرن؟ إن معالجة مالك بن نبي لمشكلات الحضارة كانت دائمة ملتزمة بخلفية ثقافية دينية "الفكرة الدينية/ الإسلامية" التي اتخذ منها مبدأ لكل فعالية تغييرية في التاريخ، كما أن الأبعاد التي كان يهدف إليها فكره الحضاري لم تكن لتتجاوز محاولة اقتراح الحلول الحضارية المناسبة لطبيعة المبدأ الثقافي الذي شكلت الفكرة الدينية أصلاً له... ينظر: د. فيصل لكحل: " التوجه الحضاري في فكر مالك بن نبي "قراءة تحليلية نقدية"، التربية والابستمولوجيا، Volume 2, Numéro 3, Page 99.

(١١) لمزيد من المتابعة عن جامعة عليكره، ينظر الموقع الرسمي للجامعة على الرابط الاتي:
https://www.amu.ac.in/

(١٢) مالك بن نبي: "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"، ص ١١ – ١٢.

(١٣) محمد البهي: "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي"، مكتبة وهبة، الطبعة: العاشرة، ص ٣٢٩.

(١٤) مالك بن نبي: "إنتاج المستشرقين"، ص ٢٥.

(١٥) مالك بن نبي: "ميلاد مجتمع"، ترجمة: ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر – الجزائر / دار الفكر دمشق – سورية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م، ص ١٣، ٢٤. يقول د. فيصل لكحل: "إن من يريد أن يقدم عملاً عن المشروع الفكري الحضاري عند مالك بن نبي (١٩٠٥-١٩٧٣) يجد نفسه أمام إشكالات وعقبات عدة، ولعل أهمها صعوبة تطبيق الحلول الحضارية التي أقترحهاهذا الفكر للخروج من المشكلات والأزمات الراهنة التي تواجه العالم العربي والإسلامي، ولكن عليالرغم من هذا سنحاول في هذه الدراسة إعادة قراءة فكر مالك بن نبي في ضوء المعطيات الجديدة – الداخلية والخارجية– التي حلت بالعالم العربي والإسلامي ذلك أن هناك فقراً مدقعاً ونقصاً ظاهراً تعاني منه الدراسات حول فكر مالك ابن نبي في مجال وصل أفكاره بما توصل إليه غيره من المفكرين بعده في معالجتهم للمشكلة الحضارة في العالم العربي والإسلامي، من أمثال محمد أركون وعلي حربومحمد عابد الجابري وطه عبد الرحمان وغيرهم، وهذا ما يحفزنا إلى محاولة استثمار الفكر التغييريعند مالك بن نبي في قراءة واقع العالم العربي والإسلامي المعاصر مقارنة بما توصل إليه غيره منالمفكرين المعاصرين، والفكرة المسددة هنا هي بيان القيمة التاريخية للفكر البنابي من خلال الوقوفعند أهم مواقفه وأرائه مقارنة بغيره من مفكري الحضارة..." فيصل لكحل: "مالك بن نبي والراهن الحضاري"، Journal of the Egyptian Philosophical Society 2014 Vol.23 Issue 23, pp.185-186, DOI: 10.12816/0029194.

(١٦) مالك بن نبي: "ميلاد مجتمع"، ص ٢٦.

(١٧) مالك بن نبي: "ميلاد مجتمع"، ص ٢٨. يرى الحاج رباني أن تجربة مالك بن نبي في عالم الفكر في القرن العشرين تكاد تكون من التجارب القليلة في العالم الإسلامي بصفة عامة، وفي الجزائر بصفة خاصة، وهذا يعكس مدى إقتناعه بأن المشكلة في أساسها حضارية تتعلق بالدور الذي يجب على الإنسان المسلم أن يلعبه ليعود من جديد إلى التاريخ، فالإنسان لا يحقق وجوده مالم يكن فاعلاً في التاريخ، ولا يمكن أن يكون فاعلاً في التاريخ مالم ينهض بوعيه، ويرتبط هذا الوعي بمدى قدرته على تحويل الأشياء غير المفيدة إلى أشياء مفيدة في فترة زمنية محدودة، وهذا يعني أن وعيه وعياً تاريخياً، أي أنه وعي غير تلقائي. لقد حاول مالك بن نبي أن يفهم أسباب الانحطاط والتخلف الذي طبع واقع الإنسان في العالم الاسلامي ومنه واقع المجتمع الجزائري الذي كان يرزح تحت نير الإستعمار ردحاً من الزمن، إهتم مالك بن نبي بمشكلات الواقع دون أن يفصلها عن مشكلات الفكر فرأى أن جوهر المشكلة يكمن في الوضع الذي يوجد عليه الإنسان، وهذا يعني أن الإنسان هو محرك التاريخ وهو المتحكم في توجيه حركته، علق مالك بن نبي أملاً كبيراً على الفاعلية الإنسانية في إحداث التغيير، وأعطى للجانب النفسي والعامل الفكري أهمية بالغة، لكنه في الوقت نفسه حاول أن يوظف التوتر النفسي والفكري توظيفاً عملياً حتى لا يبقى الفكر ميتافيزيقياً، وبالتالي فهو وعي يتمحور حول قيمة حضارية معينة، ويستهدف تحقيق معنى ما لحركته في الزمن، يركز مالك بن نبي في تحليلاته النقدية على العوامل الذاتية، ويحاول الحفر عن الأسس

الحقيقية للتخلف والإنحطاط الذي أصاب العالم الإسلامي. ينظر: الحاج رباني: "الإنسان والوعي التاريخي: قراءة في فكر مالك بن نبي"، الناصرية، Volume 4, Numéro 1, Page 545.

(١٨) حاتم زكي: "قراءة في شروط النهضة لمالك بن نبي"، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، على الرابط الاتي:

https://www.mominoun.com/articles/%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%A1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B4%D8%B1%D9%88%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%A9-%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%83-%D8%A8%D9%86-%D9%86%D8%A8%D9%8A-605

(١٩)حاتم عبيد: "التاريخ والوعي بالتاريخ في "شروط النهضة" لمالك بن نبيّ"، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ٢٣/ أكتوبر/ ٢٠١٣ م، على الرابط الاتي:

https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B9%D9%8A-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D9%81%D9%8A-%D8%B4%D8%B1%D9%88%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%A9-%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%83-%D8%A8%D9%86-%D9%86%D8%A8%D9%8A-428

(٢٠) مالك بن نبي: "شروط النهضة"، المحقق: (إشراف ندوة مالك بن نبي)، دار الفكر-دمشق سورية، عام النشر: ١٩٨٦م، ص ٨٨. وللمزيد من التوسع في فهم النظرية الاجتماعية عند مالك بن نبي، ينظر: ناجي الحجلاوي: "التفطير الاجتماعي عند مالك بن نبي"، ط١، الدار التونسية، تونس، ٢٠١١ م.

(٢١)مالك بن نبي: "شروط النهضة"، ص ١٣١. وتبين الدكتورة نادية العمري تاريخ الدعوة إلى التضامن الإسلامي، وقد ظهرت هذه الدعوة حديثا بصدق وحرارة في بداية النهضة الإسلامية على يد السيد جمال الدين الأفغاني -رحمه الله- حينما نادى بأهمية جمع المسلمين في هيئة واحدة تحمل اسم "الجامعة الإسلامية" ودعا إلى ضرورة إقامة حياة نيابية أساسها الشورى وعمادها كفالة حقوق الإنسان، وركيزتها المساواة بين أفراد البشرية. إن دعوة التضامن ليست دعوة حديثة برزت في القرنين الأخيرين وليست وليدة لأوضاع معينة، وإنما هي دعوة عريقة قديمة، رافقت بزوغ فجر الإسلام، وعاشت مع المسلمين في كل وقت تجتمع فيه كلمتهم، وتتحد فيه قواهم. ينظر: الدكتورة نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الاسلامية، مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٣٣٧.

(٢٢) مالك بن نبي: "الظاهرة القرآنية"، ص ١٣١. يوضح مالك بن نبي في موضع آخر أن المشكلة في صورتها الجديدة إذن هي أن نتساءل: هل زال مفعول هذه العوامل المعوقة للنهضة العربية أم لا؟ ومن الواضح أننا لا نملك في أيدينا شيئا يتيح لنا الجواب عن هذا السؤال جواباً يقنعنا، لأنه يتطلب دراسة موضوعية لم نقم بها ولا نعلم أن أحداً قام بها. إنه بلغنا أن القضية دخلت أخيراً إلى المختبر لتدرس، وأن لجنة تأسست بالقاهرة لدراسة هذا الجانب النفساني في إطار التخطيطات القائمة اليوم. ولكننا قبل أن تصلنا نتيجة هذه الدراسة الموضوعية، نجد أنفسنا مضطرين إلى تقدير نظري، وهو أن عوامل التعطيل التي نتحدث عنها، لا يزال بعضها عالقاً بعالم النفس عندنا، في صورة رواسب خلفها في نفوسنا عهد الكساد، ولا أشعر أن هذا التقدير النظري يخرج من نطاق الواقع، إذا أخذنا باعتبارنا أننا لم نقم إلى الآن في العالم الإسلامي عامة والعالم العربي خاصة، بما يسميه علماء النفس عملية تصفية للرواسب التي نتحدث عنها.

إن النظرة إلى الماضي تقيد شيئين: إن حركة النهضة العربية كانت تسير على بطء، ثم إنها لم تكن تتجه نحو إنشاء حضارة، أو على الأقل إنها لم تنظم اتجاهها نحو الحضارة. ومن الطبيعي إذن أن نفترض فيها أولاً وجود عوامل تعطيل نفسية، أثرت في سيرها خلال الحقبة التي جعلناها عن قصد موضوع البحث. وثانياً وجود عوامل أخرى فكرية أثرت في اتجاهها تأثيراً سلبياً. وفيما يخص هذا الحديث فإنني أقنع بالحديث عن هذا الجانب المرضي في النهضة العربية، تاركا جانب العلاج إلى من يقوم بهذا الأمر مباشرة في إطار التخطيطات، مع اعتقادي أنه يتصل بقضية (الثقافة) والتوجيهات الثقافية في البلاد العربية، على شرط أن نعطي لكلمة ثقافة معناها الصحيح، لتقوم أولا بالدور الخلاق للإنسان العربي الجديد، الذي يتواءم مع ضرورات النهضة في الخارج وفي الداخل. ينظر: مالك بن نبي: "تأملات"، المحقق: (إشراف ندوة مالك بن نبي)، دار الفكر-دمشق سورية، الطبعة: الأولى، ١٩٧٩م، ص ١٨٧ – ١٨٨

مالك بن نبي: "تأملات"، المحقق: (إشراف ندوة مالك بن نبي)، دار الفكر-دمشق سورية، الطبعة: الأولى، ١٩٧٩م، ص ١٨٧ – ١٨٨ .

(٢٣) مالك بن نبي: "الظاهرة القرآنية"، المحقق: (إشراف ندوة مالك بن نبي)، دار الفكر – دمشق سورية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م، ص ١٣٦.

(24) John L. Esposito, *Voices of Resurgent Islam* (New York: Oxford University Press,1983), p. 4.

(٢٥) مالك بن نبي: "الظاهرة القرآنية"، المحقق: (إشراف ندوة مالك بن نبي)، دار الفكر – دمشق سورية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م، ص ٢٠٧.

(٢٦) مالك بن نبي: "وجهة العالم الإسلامي"، الجزء الثاني، مكتبة الأسد – آفاق معرفة متجددة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م، ص ١٣٨ – ١٣٩ . يسعى عمران بودقزدام إلى تجلية رؤية مالك بن نبي لمسالك التغيير في عصره، ولا شك أن قوام عملية النقد البناء التي مارسها بن نبي ستجلي أرضية تأسيسية لفلسفة التغيير عنده. يمكن الخلوص إلى أن تقويمه لمسالك التغيير قد طغت عليه مسألة مركزية تتمثل في ممارسة عملية التأصيل للفكر النهضوي الإسلامي، الذي يرتكز على عامتين هما: ١ ـ التمثل الفاعل للمرجعية الإسلامية الأصيلة. ٢ ـ التفاعل الواعي مع الأفكار الوافدة، في إطار الالتزام بمنهج استيعابي متميز وفاعل. ويرى عمران بودقزدام أن مالك بن نبي يعد من أبرز المفكّرين الذين نظّروا لقضايا الحضارة تشخيصا لمشكلاتها وتأسيساً وتشييداً لصرحها. وقد كان للجوّ الفكري الذي ساد حقبة المفكر أكبر الأثر في تبلور –تشكّل– مشروعه الفكري، حيث كان العالم الإسلامي يعجّ باتجاهات فكرية متعدّدة المشارب والمناهج والغايات. عايش مالك بن نبي هذه الحركية الفكرية بكل ما تحمِلُها من تناقضات وسلبيات. وهنا تبرُزُ هنا أهميّة دراسة رؤيته لمسالك التغيير، باعتبار أن مشروعه ارتكز على القراءة النقدية لهذه التجارب، تأسيسا لمسلك التواصل والاستمرارية في بناء الأفكار النهضوية واستبعادا لمنحى الإلغاء والانطلاقة الصفرية. ينظر: عمران بودقزدام: " رؤية مالك بن نبي لمسالك التغيير في عصره –من النقد إلى البناء– "، مجلة الصراط، Volume 15, Numéro 3, Page 219.

(٢٧) مالك بن نبي: "مشكلة الثقافة"، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر– دمشق سورية، الطبعة: ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م ط٤: ١٩٨٤م، ص ١٢٦ – ١٢٧.

(٢٨)مالك بن نبي: "مشكلة الثقافة ص ١١٢.

(٢٩) مالك بن نبي: "مشكلة الثقافة"، ص ١٢٦ – ١٢٧ . يرى مالك بن نبي أن دور شبكة العلاقات الاجتماعية مُرتَبِطٌ بالفكرة الدينية التي تُؤَثِّرُ ايجابيا على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. كما تُؤَكِّدُ فلسفة التغيير عند مالك بن نبي على أن التغيير يجب أن يقوم على ثلاثة

عناصر ضرورية هي الإنسان والتراب والوقت، وأن التوجيه الصحيح لهذه العناصر هو الذي يقود المجتمع إلى بناء الحضارة. وتُبَيِّنُ لنا فلسفة التغيير عند مالك بن نبي أن إِحداثَ التغيير ضروري من أجل الارتقاء بمستوى الفرد وبالتالي بمستوى المجتمع، ذلك أن مالك بن نبي يَرَى أنه لكي نَبنِيَ مجتمعا مُتَحَضِّرًا يجب علينا أن نجعل الفرد يُؤمِنُ بضرورة المشاركة في هذا البناء حيث يَعمَلُ كل فرد على تحقيق المصلحة العامة قبل المصلحة الخاصة، لأن التفكير في هذه المصلحة الخاصة هو ما أَرهَقَ المجتمع العربي وجَعَلَهُ يَتَخَلَّفُ كثيرا عن مجتمعات أخرى صارت أكثر تَحَضُّرًا، كما يجب على المجتمع تَوطِيدُ شبكة العلاقات الاجتماعية لأنه كلما قَوِيَت هذه الشبكة كلما زادت فرصة إحداث التغيير الاجتماعي وبالتالي ميلاد المجتمع المتحضر. بن سباع محمد: "فلسفة التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي: كيفية بناء الحضارة من منظور إسلامي"، آفاق فكرية، Volume 4, Numéro 2, Page 289.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

١- البهي، محمد: "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي"، مكتبة وهبة، الطبعة: العاشرة.

٢- الحجلاوي، ناجي: "التفطير الاجتماعي عند مالك بن نبي"، ط١، الدار التونسية، تونس، ٢٠١١ م.

٣- العمري، الدكتورة نادية شريف ، أضواء على الثقافة الاسلامية، مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤- لكحل، د. فيصل: " التوجه الحضاري في فكر مالك بن نبي "قراءة تحليلية نقدية"، التربية والابستمولوجيا، Volume 2, Numéro 3, Page 99

٥- _____: "مالك بن نبي والراهن الحضاري"، Journal of the Egyptian Philosophical Society 2014 Vol.23 Issue 23, pp.185-186, DOI: 10.12816/0029194.

٦- بن نبي، مالك: "إنتاجُ المستشرقينْ وأثَره في الفِكر الإسلاميّ الحَدِيث"، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

٧- _____: "ميلاد مجتمع"، ترجمة: ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر - الجزائر / دار الفكر دمشق – سورية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٨- _____: "شروط النهضة"، المحقق: (إشراف ندوة مالك بن نبي)، دار الفكر-دمشق سورية، عام النشر: ١٩٨٦م.

٩- _____: "تأملات"، المحقق: (إشراف ندوة مالك بن نبي)، دار الفكر-دمشق سورية، الطبعة: الأولى، ١٩٧٩م.

١٠- _____: "مشكلة الثقافة"، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر- دمشق سورية، الطبعة: ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م ط٤: ١٩٨٤م.

١١- _____: "الظاهرة القرآنية"، المحقق: (إشراف ندوة مالك بن نبي)، دار الفكر - دمشق سورية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠م.

١٢- _____: "وجهة العالم الإسلامي"، الجزء الثاني، مكتبة الأسد - آفاق معرفة متجددة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

١٣- بودقزدام، عمران: " رؤية مالك بن نبي لمسالك التغيير في عصره -من النقد إلى البناء- "، مجلة الصراط، Volume 15, Numéro 3, Page 219.

١٤- رباني، الحاج: "الإنسان والوعي التاريخي: قراءة في فكر مالك بن نبي"، الناصرية، Volume 4, Numéro 1, Page 545.

١٥- زكي، حاتم: "قراءة في شروط النهضة لمالك بن نبي"، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، على الرابط الاتي:

https://www.mominoun.com/articles/%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%A1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%B4%D8%B1%D9%88%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%A9-%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%83-%D8%A8%D9%86-%D9%86%D8%A8%D9%8A-605

١٦- سعيد، إدورد: "الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق"، ترجمة د. محمد عناني، ط١، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٧- عبيد،حاتم: "التاريخ والوعي بالتاريخ في "شروط النهضة" لمالك بن نبيّ"، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ٢٣/ أكتوبر/ ٢٠١٣ م، على الرابط الاتي:

https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B9%D9%8A-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D9%81%D9%8A-%D8%B4%D8%B1%D9%88%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%A9-%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%83-%D8%A8%D9%86-%D9%86%D8%A8%D9%8A-428

١٨- محمد، بن سباع: "فلسفة التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي: كيفية بناء الحضارة من منظور إسلامي"، آفاق فكرية، Volume 4, Numéro 2, Page 289.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- Boone, Joseph A., The Homoerotics of Orientalism (New York; Columbia University Press, 2014).

2- Brisson, Thomas, « Les intellectuels arabes et l'orientalisme parisien (1955-1980) comment penser la transformation des savoirs en sciences humaines? », Revue française de sociologie 2008/2 (Vol. 49), p. 269-299. DOI 10.3917/rfs.492.0269

3- Burke III, Edmund and David Prochaska, editors, *Genealogies of Orientalism: History, Theory, Politics* (Lincoln, NE.: University of Nebraska Press, 2008).

4- Esposito, John L., Voices of Resurgent Islam (New York: Oxford University Press,1983).

5- MacKenzie, John MacDonald, Orientalism: History, Theory and the Arts (Manchester: Manchester University Press, 1995).

6- Martin, Richard C., Carl W. Ernst, Rethinking Islamic Studies: From Orientalism to Cosmopolitanism (Columbia, SC: University of South Carolina Press, 2010).

7- Macfie, Alexander Lyon, Orientalism (London and New York: Routledge, 2014).

8- Netton, Ian Richard, editor, Orientalism Revisited: Art, Land and Voyage (New York: Routledge, 2013).

9- Said, Edward W., Orientalism (New York: Penguin Group, 1978).

10- Seniguer, Haoues, « La civilisation islamique et l'humanisme arabo-musulman : le regard de Malek Bennabi », *Confluences Méditerranée* 2014/2 (N° 89), p. 188-189. DOI 10.3917/come.089.0187